﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يونس: 50 - 51]

❁ مُناسَبَةُ الآيَتَينِ لِما قَبْلَهُما:

الرّبطُ بينَ تحديدِ آجالِ الأممِ وفقَ القدرِ، بالتّحذيرِ مِنِ استِعجالِ عذابِ الله تعالى

لَمّا ذَكَرَ اللّه ﷻ أنَّ قَصدَ المُشركينَ بسُؤالِهم عنِ مَوعِدِ العذابِ هوَ الاستِهزاءُ، وكانَ وقوعُ ما توعِّدوا به مُمكِنًا، وكانَ مِن شأنِ العُقلاءِ أن يَبعُدوا عَن كُلِّ خطرٍ مُحتمَلٍ؛ أمَرَ اللّه نبيَّه ﷺ بجوابٍ آخَرَ لِمَن استَبطَأَ الوعيدَ بالعذابِ في الدُّنيا أو الآخرةِ، فقال سُبحانَهُ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ والقصدُ بيانُ أنَّه إذا جاءَ أجلُهُم لا يَستأخِرونَ عنه ولا يَستقدِمونَ؛ فليحذَروا مِنَ الاستعجالِ بالعذابِ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾: أصلُ (رأى): يدُلُّ على نَظرٍ وإبصارٍ بعَينٍ أو بَصيرَةٍ. فالرَّأيُ: ما يَراه الإنسانُ في الأمرِ، وجَمعُه الآراءُ[2]. والرُّؤيةُ: إدراكُ المَرئيِّ، وذلك أضربٌ بحسب قِوَى النَّفسِ: والأوَّلُ: بالحاسَّةِ، وما يجري مَجراها، نحو: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ﴿٧﴾﴾ [التّكاثر: 6 - 7]. والثّاني: بالوَهمِ والتَّخيُّلِ، نحو قوله: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الأنفال: 50]. والثّالثُ: بالتَّفكُّرِ، نحو: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ﴾ [الأنفال: 48]. والرّابعُ: بالعَقلِ، وعلى ذلكَ قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾ [النّجم: 11]. والرَّأيُ: اعتقادُ النَّفسِ أحدَ النَّقيضَينِ عَن غَلَبَةِ الظَّنِّ، وعلى هذا قوله: ﴿يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ﴾ [آل

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/135 - 136، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 366.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (رأى).

عمران: 13]، والرُّؤيا: ما يُرَى في المنام[1]. والرُّؤيةُ بالعَين تَتعدَّى إلى مفعولٍ واحدٍ، وبمعنى العِلم تَتعدَّى إلى مَفعولَين. والرُّؤيةُ في الآيةِ بمعنى التَّنبيهِ[2].

2) ﴿بَيَتًا﴾: أصلُ (بيت): المَأوَى والمَآبُ ومَجمَعُ الشَّملِ. يُقالُ بَيتٌ وبُيوتٌ وأَبياتٌ. وبَيَّتَ الأمرَ إذا دَبَّرَه لَيلًا، قال الله تعالى: ﴿إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [النّساء: 108]؛ أي: حينَ يَجتمعونَ في بُيوتِهم. غَيرَ أنَّ ذلكَ يُخَصُّ باللَّيلِ. والبَيّوتُ: الأمرُ يُبَيِّتُ عليه صاحِبُه مُهتَمًّا بِهِ. والبَياتُ والتَّبييتُ: أنْ تأتيَ العَدوَّ لَيلًا، كأنَّكَ أخَذتَه في بَيتِه. وقد رويَ عن أبي عبيدةَ أنَّه قال: بُيِّتَ الشَّيءُ إذا قُدِّرَ، ويُشَبَّه ذلكَ بتقديرِ بُيوتِ الشَّعرِ. وهذا ليسَ ببعيدٍ مِنَ الأصلِ[3]. والمقصودُ بالتَّبييتَ والبَياتِ في الآية: مُباغَتَةُ العَدوِّ ليلًا، وعَكسُه التَّصبيحُ: الغارَةُ في الصَّباحِ[4].

3) ﴿نَهَارًا﴾: أصلُ (نهر): يدُلُّ على تَفَتُّحِ شيءٍ أو فَتحِه. ومنه سُمِّيَ النَّهرَ لأنَّه يَنهَرُ الأرضَ؛ أي: يَشُقُّها[5]. والنَّهارُ: وهو انفِتاحُ الظُّلمَةِ عن الضّياءِ ما بَينَ طُلوعِ الفجرِ إلى غُروبِ الشَّمسِ؛ وسُمِّيَ نَهارًا؛ لأنَّ الضّياءَ يَنهَرُ فيهِ؛ أي: يَبرُزُ كما يبرُزُ النَّهرُ[6]. والمقصودُ بالنَّهارِ في الآيةِ: ما بَينَ الفَجرِ إلى غُروبِ الشَّمسِ.

4) ﴿ءَآلْـَٔـنَ﴾: أصلُ (أين): تدُلُّ على القُربِ، يُقالُ: آنَ لكَ أنْ تَفعَلَ كذا، أَينًا؛ أي: حانَ[7]، ثمّ تَوَسَّعوا فَجَعَلوه اسمًا لزمانِ الحالِ، فقالوا: أنا الآنَ أفعَلُ كذا. قال أبو العباسِ: "قال قومٌ: آنَ يَئِينُ أَينًا، والهمزةُ مَقلوبةٌ فيه عنِ الحاءِ، وأصلُه: حانَ يَحِينُ حِينًا، قال: وأصلُ الكلمةِ مِنَ الحِينِ"[8]. والآنَ: ظرفُ زمانٍ يدُلُّ على الوقتِ الحاضِرِ الَّذي أنتَ فيهِ، والَّذي يَفصِلُ بينَ زَمانَي الماضي والمُستَقبَلِ، والألِفُ واللّامُ فيه ليسَت للتَّعريفِ أو للعَهدِ الحُضوريِّ[9]. والمرادُ بـ (الآن) في الآيةِ: اسمُ ظرفٍ للزَّمانِ الحاضِرِ.

(1) الرّاغب، المفردات: (رأى)، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (رأي)، والزَّبيدي، تاج العروس: (رأى).
(2) الرّاغب، المفردات: (رأى)، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (رأي).
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (بيت).
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/283.
(5) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (نهر).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 12/179.
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (أين).
(8) الرّاغب، المفردات: (أين).
(9) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 10/69.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

أمَرَ الله تعالى نبيَّه الكريمَ ﷺ أن يقولَ لِلمشركين: أخبِروني إنْ أتاكُم عذابُ الله ليلًا وقتَ نَومِكُم، أو نهارًا وقتَ اشتغالِكُم بمَعاشِكُم، ماذا يَستعجِلُ المُشرِكونَ مِنَ العذابِ إلّا الشَّرَّ الَّذي لا يستطيعونَ دَفعَه عن أنفُسِهم، أإذا نزَلَ عذابُ الله بكُم آمَنتُم به حينَ لا ينفَعُكُمُ الإيمانُ، آلآنَ تُؤمِنونَ - أيُّها المُشرِكونَ - بعدَ أن وَقَعَ بكُمُ العذابُ، وقد كنتُم قبلَ مَجيئِه تَستعجِلونَه مُكَذِّبينَ بِه؟[1]

استعجالُ العذابِ لا نَفعَ فيه، وإنَّما النّافعُ هو الإيمانُ قبلَ فواتِ الأوانِ

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

عِلَّةُ الفصل في: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ﴾:

جاءَ قولُ الله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ جوابًا ثانيًا عن سُؤالِهِم المُتقدِّم ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، فَفُصِلَتْ عَن قولِه: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ﴾؛ لِكَونِها مُبدلةً منها أو مُؤكِّدةً لمضمونِ الجملةِ المُتقدِّمَةِ عليها، فالفصلُ لِكمالِ الاتّصالِ؛ والمعنى: إذا حَقَّ الوعدُ الَّذي توعدَهُم به فَسيؤمِنون، وهذا الجوابُ إبداءٌ لِخَلَلِ كلامِهِم، واضطرابِ استهزائِهِم، وقد جاءَ هذا الأمرُ بأنْ يجيبَهُم هذا الجوابَ بعدَما أُمِرَ أن يجيبَهُم بقوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ﴾.

تأكيدُ الرَّدِّ على استهزاءِ المُشركينَ مُبالَغةٌ في إبطالِهِ

دلالةُ تَصديرِ الآيةِ بفعلِ الأمرِ ﴿قُلْ﴾:

جاءَ فعلُ الأمرِ ﴿قُلْ﴾ في صدرِ الآيةِ ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ موجَّهًا للنّبيِّ ﷺ، إلزامًا مِنه تعالى، وإجابةً على لسانِه ﷺ؛ لِتبرئةِ ساحتِه وتنزيهِ شَخصِه أن يكونَ الجوابُ منهُ، بل ليَكونَ تَلقينًا لَهُم بالحجَّةِ العلويَّةِ، والمرادُ: "قُلْ لهُم بعدما بَيَّنت لهم كيفيَّةَ حالِكَ وجريانِ سنّةِ الله تعالى فيما بينَ الأممِ على الإطلاقِ، ونبَّهتهم

مِن كَرامَةِ النَّبيِّ ﷺ على رَبِّه دِفاعُه تعالى عنه

(1) ابن جرير، جامع البيان: 12/190، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/273، والشّوكانيّ، فتح القدير: 2/513، والسّعديّ، تيسير الكريم الرّحمن، ص: 366.

على أنَّ عذابَهُم أمرٌ مُقرَّرٌ مَحتومٌ، لا يتوقَّفُ إلّا على مَجيءِ أجلِه المعلومِ؛ إيذانًا بكمالِ دُنوِّهِ، وتنزيلًا لَه مَنزلةَ إتيانِه حقيقةً"[1].

بلاغةُ الاستِفهامِ ودِلالَتُه:

الاستفهامُ في قول الله ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ لا يُرادُ حقيقتُهُ؛ وهو طلبُ العلمِ بشيءٍ لَم يكُنْ مَعلومًا مِن قَبلُ، وإنَّما جاءَ الاستفهامُ ههنا على سبيلِ التَّلطُّفِ بِهِم، والتَّنبيه لَهُم أنَّ العذابَ لا ينبغي أن يُستعجَلَ. ويجوز أن تكونَ الجملةُ واردةً على سبيلِ التَّعجُّبِ والتَّهويلِ للعَذابِ؛ أي: أيُّ شيءٍ شديدٍ تستعجِلونَهُ، والمعنى: قُل لَهُم يا محمَّدُ، أخبروني عَن عذابِ اللّه إن أتاكُم؛ أيُّ شيءٍ تستعجِلونَ منهُ، فَلَيسَ شيءٌ مِنَ العذابِ يَستَعجِلُه عاقِلٌ؛ إذ العَذابُ كلُّه مُرُّ المذاقِ موجِبٌ لِنفارِ الطَّبعِ منهُ[2].

لا ينبغي استِعجالُ العذابِ، إذْ لا يَستَعجِلُ العذابَ ذو عقلٍ

نُكتةُ التَّعبيرِ عن العلمِ بالرُّؤيةِ بـ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾:

عُبِّرَ بالرُّؤيةِ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾، ويجوزُ أن تكونَ بصريَّةً؛ لبيانِ أنَّ مجيءَ العذابِ ثابتٌ وحقٌّ، والدَّليلُ على ثبوتِه رؤيَتُه بالعينِ؛ وذلك ليكونَ أثبتَ لدى النَّفسِ، ويجوزُ أن تكونَ الرُّؤيةُ علميَّةً، فَيُخبرُ بها صادِقٌ لَم يُجرَّب عليه الكذبُ.

بيانُ إثباتِ حُلولِ العذابِ بالكُفّارِ وتَحقيقه

وسواء أكانَ المعنى: أخبروني أم أعلِموني - لِما بَينَ الرُّؤيةِ والإخبارِ مِنَ السَّببيّةِ والمُسَبَّبيّةِ - فإنَّ التَّعبيرَ بالرُّؤيةِ فيه مِنَ القوَّةِ في الإثباتِ والقَطعِ في الإخبارِ ما لا يَخفى.

نُكتةُ تعليقِ الشَّرطِ بـ﴿إِنْ﴾:

عُلِّقَ الشَّرطُ بـ﴿إِنْ﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾؛ وذلك لأنَّ (إنْ) في الأصلِ تُستعمَلُ فيما لا

دِقَّةُ البيانِ القرآنيِّ في انتِقاءِ أدواتِ الشَّرطِ المُلائِمَةِ لسياقاتِها

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/132.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 5/165.

يُجزَمُ بحصوله ووُقوعِه؛ والمعنى: (إنْ أتاكُم فأيُّ شيءٍ تستعجلونَ منهُ)، واستعمالُ ﴿إِنْ﴾ خرجَ عن مُقتضَى الظّاهرِ، ولم يخرجْ عن مُقتضَى الحالِ، فالمحلُّ هنا لـ(إذا)، ولكنّه عَدَلَ إلى ﴿إِنْ﴾ مِن بابِ المُجاراةِ لَهُم في عدمِ جَزمِهِم بوقوعِ هذا العذابِ[1].

سرُّ حذفِ جوابِ الشَّرطِ:

في الحذفِ إثراءٌ للمعاني القرآنيَّةِ، وتوسيعٌ لدائرَتِها

حُذِفَ جوابُ الشَّرطِ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾، كما قال الزَّمخشريُّ: "فإنْ قُلتَ: بِمَ تَعَلَّقَ الاستفهامُ؟ وأينَ جوابُ الشَّرطِ؟ قُلتُ: تَعَلَّقَ بـ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾؛ لأنَّ المعنى: أخبروني ماذا يَستَعجِلُ منه المجرمونَ، وجوابُ الشَّرطِ محذوفٌ؛ وهو: تَندَموا على الاستِعجالِ، أو تَعرِفوا الخطأَ فيه"[2]، وحذفُ الجوابِ يوسِّعُ دائرةَ المعاني المُحتَمَلة، وفي ذلك إثراءٌ لِلمعاني القرآنيَّةِ.

نُكتةُ التَّعبيرِ بالإتيانِ: ﴿أَتَىٰكُمْ﴾:

إذا قضى اللهُ سُبحانَه إنزالَ العذابِ؛ فإنَّه لا رادَّ له ولا نَجاةَ مِنه

قولُ اللّه تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ فيه لفظ ﴿أَتَىٰكُمْ﴾ مِنَ الإتيانِ: وهو مجيءٌ بسهولةٍ، ومنه قِيلَ للسَّيلِ المارِّ على وجهِهِ: أتِيٌّ وأَتاوِيٌّ، والإتيانُ يُقالُ لِلمَجيءِ بالذّاتِ وبالأمرِ وبالتَّدبيرِ، ويُقالُ في الخَيرِ وفي الشَّرِّ وفي الأعيانِ والأعراضِ، نحو قولِه تعالى: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام: 40][3]. أمّا المجيءُ فهو وإنْ كانَ كالإتيانِ، إلّا أنَّه أعمُّ منه، إذْ يُطلَقُ " اعتبارًا بالحُصولِ، ولِمَن قَصَدَ مكانًا أو عملًا أو زمانًا"[4]. ففي التَّعبيرِ بالإتيانِ في قولِه: ﴿أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ﴾ كنايةٌ عَن سُرعَةِ نُزولِه عليهِم، وإنْ كانوا قدِ استبطَؤوا نُزولَه تَهكُّمًا واستهزاءً، فأخبرَهُم

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/132.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/240.
(3) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(4) الرّاغب، المفردات: (جاء).

بعدمِ الاستعجالِ؛ لأنَّه سُبحانَه إذا أنزَلَه أنزَلَه كالسَّيلِ المنهَمِرِ، لا يُستَطاعُ ردُّه أو النَّجاةُ منه.

بلاغةُ المَجازِ أو الاستعارةِ:

أُسنِدَ الإتيانُ إلى العذابِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾، والمُرادُ: إتيانُ زَمَنِ وقوعِهِ، وذلكَ على سبيلِ المجازِ العقليِّ لعلاقةِ الزَّمانيَّةِ، أو هو مِن بابِ الاستعارةِ المكنيَّةِ تشخيصًا لهذا العذابِ بإنسانٍ يأتي مَعَ الرَّمزِ إليه بخاصيَّةٍ مِن خواصِّهِ، وهو الإتيانُ؛ مبالغةً في وُقوعِه ونُزولِه بِهِم.

بيانُ المُبالغةِ في إثباتِ وُقوعِ العذابِ، ونُزولِه بأهلِ الشِّركِ

فائدةُ الإضافةِ في ﴿عَذَابُهُۥ﴾:

أُضيفَ العذابُ في ﴿عَذَابُهُۥ﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ لبيانِ مصدرِ هذا العذابِ، وأنَّه يكونُ مِن ﷻ؛ رَدًّا على استعجالِهِم وُقوعَه، واستبطاءِ الوعدِ الَّذي أخبرَهُم به النَّبيُّ ﷺ، وتَهَكُّمِهِم وسخريَتِهِم منه، وأنَّ أخذَه أليمٌ شديدٌ، وأنَّه هوَ المعذِّبُ به لا غيرُهُ.

الرَّدُّ على استعجالِ المُشركينَ وُقوعَ العذابِ المُتَوَعَّدِ بِهِ

نُكتةُ التَّعبيرِ بالضَّميرِ الرّاجِعِ إلى الاسمِ الأحسنِ (الله):

عُبِّرَ بالضَّميرِ الرّاجِعِ إلى الاسمِ الأحسَنِ (اللهِ) في قولِه ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾؛ تفخيمًا وتعظيمًا لَه ﷻ؛ لئلّا يجريَ ذِكرُه هُنا مَقرونًا بالعذابِ مَعَ إمهالِهِم ليذعنوا إليه بالرُّجوعِ، وليكونَ ذلكَ زجرًا وتخويفًا، فَيَثوبوا إلى رُشدِهِم، ويعودوا إلى جادَّةِ الحقِّ.

المقصودُ بالزَّجرِ والتَّخويفِ رُجوعُ المُخَوَّفِ إلى جادَّةِ الحقِّ والصَّوابِ

سرُّ تنكيرِ ﴿بَيَٰتًا﴾ و﴿نَهَارًا﴾:

نُصِبَ كُلٌّ مِن ﴿بَيَٰتًا﴾ و﴿نَهَارًا﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ على الظَّرفيَّةِ؛ فمعنى ﴿بَيَٰتًا﴾: وقتَ بياتٍ، والبياتُ بمعنَى التَّبييتِ، كالسَّلامِ بمعنى التَّسليمِ، و﴿نَهَارًا﴾؛ أي: وقتَ انشغالِكُم بطلَبِ المعاشِ والكَسبِ[1].

بيانُ شدَّةِ العذابِ، وقُربِه مِنهم، ومُفاجأتِه إيّاهُم

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/240.

ومَجيئُهما مُنكَّرين من غيرِ تحديدِ أيِّ جُزءٍ من أجزاءِ اللَّيلِ يأتيهم فيه العذابُ، ولا في أيِّ ساعةٍ من ساعاتِ النَّهارِ يأتيهم ذلك العذابُ، دليلٌ على مُفاجَأةِ العَذاب في أيِّ جزءٍ منهُما؛ تَهويلًا لهذا العذابِ الموعودِ، قال ابنُ عاشورٍ: "وَقَعَ في خلالِ هذا الجوابِ تَفَنُّنٌ في تَخييلِ التَّهويلِ لهذا العذابِ الموعودِ بقوله: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ تَخييلًا يُناسِبُ تَحَقُّقَ وُقوعِه، فإنَّ هذين الوَقتَين لا يَخلو حُلولُ الحوادثِ عَن أحَدِهما، على أنَّه ترديدٌ لمعنى العذابِ العاجِلِ تَعجيلًا قريبًا أو أقلَّ قُربًا، أي: أتاكُم في ليلِ هذا اليومِ الَّذي سألتُموه أو في صبيحَتِه، على أنَّ في ذكرِ هذينِ الوقتَينِ تَخييلًا ما لِصورةِ وقوعِ العذابِ؛ استِحضارًا له لديهم على وجهٍ يَحصُلُ به تَذكيرُهُمُ انتهازًا لِفُرصةِ المَوعظةِ"[1].

نُكتةُ التَّعبيرِ بـ ﴿بَيَٰتًا﴾:

يكونُ العَذابُ أكثرَ قساوَةً، إذا حَلَّ في أوقاتِ الغَفلاتِ

جاءَ التَّعبيرُ بالبياتِ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُهُۥ بَيَٰتًا أَوْ نَهَارًا﴾ دونَ اللَّيلِ؛ "لِيَظهرَ التَّقابُلُ؛ لأنّ المرادَ الإشعارُ بالنَّوم والغَفلَةُ، والبَياتُ مُتكَفلٌ بذلكَ؛ لأنَّه الوقتُ الَّذي يَبيتُ فيه العدّو، ويوقعُ فيهِ، ويغتَنِمُ فُرصة غَفلَتِه، وليسَ في مفهومِ اللَّيلِ هذا المعنى، ولَم يشتَهِرْ شُهرةَ النَّهارِ بالاشتغالِ بالمَصالِحِ والمَعاشِ حتَّى يَحسنَ الاكتفاءُ بدلالةِ الالتزامِ كما في النَّهارِ، وقد يُقالُ: النَّهارُ كُلُّه مَحلُّ الغفلة؛ لأنَّه إمّا زمانُ اشتغالٍ بمَعاشٍ أو زمانُ قَيلولَةٍ بخلافِ اللّيلِ، فإنَّ مَحلَّ الغَفلةِ فيه ما قارَبَ وسَطهُ؛ وهوَ وقتُ البَياتِ، فلذا خُصَّ بالذّكرِ"[2].

وقال الزَّمخشريُّ: "فإن قُلتَ: هَلّا قيلَ ليلًا أو نهارًا؟ قُلتُ: لأنَّه أُريدَ: إنْ أتاكُم عذابُه وقتَ بياتٍ فبيَّتَكُم، وأنتُم ساهونَ نائمونَ لا تَشعُرونَ، كما يُبَيِّتُ العدوُّ المباغت"[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/191.
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/133.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/240.

المَوقِعُ النَّحويُّ والبيانيُّ لجوابِ الشّرطِ في هذه الآيةِ:

المُبالغةُ في إنكارِ استِعجالِ العذابِ بيانٌ لِمُقتضَى الحالِ

قولُ اللّه ﷻ: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ جوابٌ للشَّرطِ؛ حُذِفَت منه الفاء؛ كما تقولُ: إنْ أتيتُكَ ماذا تُطعِمُني، والمرادُ هنا: إنْ حصَلَ هذا المطلوبُ؛ فأيُّ مقصودٍ تَستَعجِلونَه منه، "والجملةُ الشَّرطيَّةُ مُتَعلِّقةٌ بِـ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾، والمعنى: أخبِروني إنْ أتاكُم عَذابُه تعالى أيّ شيءٍ تَستَعجِلونَه منه سُبحانَهُ، والشَّيءُ لا يُمكِنُ استعجالُه بَعدَ إتيانِهِ، والمرادُ به المبالغةُ في إنكارِ استعجالِه بإخراجِه مِن حيِّزِ الإمكانِ، وتنزيلُه في الاستحالَةِ مَنزِلةَ استِعجالِه بعدَ إتيانِهِ"[1].

وقدَّر الزَّمخشريُّ الجَوابَ بقوله: "تَندَموا على الاستعجالِ، أَو تَعرِفوا الخطأَ فيهِ. فإنْ قُلتَ: فهلّا قِيلَ: ماذا تَستَعجِلونَ منه؟ قلتُ: أُريدَتِ الدِّلالَةُ على موجِبِ تركِ الاستعجالِ، وهوَ الإجرامُ؛ لأنَّ مِن حَقِّ المجُرمِ أنْ يخافَ التَّعذيبَ على إجرامِهِ"[2].

دلالَةُ ﴿مَّاذَا﴾:

احتِمالُ الألفاظِ لِمَعانٍ مُتعدِّدَةٍ، يوَسِّعُ الدّلالةَ، ويُبيِنُ عنِ المرادِ

﴿مَّاذَا﴾ مِن قولِ اللّه ﷻ: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ فيها قَولانِ:

أحدُهُما: أنَّ (ما) اسم استفهامٍ، مَوضِعُها رَفعٌ بالابتداءِ، و(ذا) بمعنى الَّذي، و﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ صِلَةٌ له، والعائدُ محذوفٌ، والَّذي وصلتُه خبرُ المبتدَأ.

والآخَرُ: أنَّ (ما) و (ذا) اسمٌ واحدٌ للاستفهامِ، ومَوضِعُه نَصبٌ بـ ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾، ولا ضميرَ في الفعلِ، والتَّقديرُ: أَيُّ شيءٍ يَستَعجِلُ منه المُجرِمونَ[3].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/153.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/240.
(3) العكبريّ، إملاء ما منَّ به الرّحمن: 1/26.

دلالةُ الاستفهامِ:

مِن عجيبِ صَنيعِ المُشركينَ استِعجالُهُمُ العَذابَ بنيَّةِ الإيمانِ عندَ نُزولِهِ

الاستِفهامُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ مُستَعمَلٌ في الإنكارِ عليهِم، وفي التَّعجيبِ مِن تَعَجُّلِهِمُ العَذابَ بنيَّةِ أنَّهُم يُؤمِنونَ بِه عندَ نُزولِهِ.

وفائدةُ الإشارةِ إليه بـ(ذا) - لأنَّها في الأصلِ اسمُ إشارةٍ - تَهويلُه أو تَعظيمُه أوِ التَّعجيبُ مِنه كقولِ اللهِ سُبحانَهُ: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا﴾ [البقرة: 26]؛ فالمعنى: ما هذا العذابُ العظيمُ في حالِ كَونِه يَستَعجِلُه المُجرِمونَ، فَجُملَةُ ﴿يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ﴾ في مَوضِعِ الحالِ مِن اسمِ الإشارَةِ؛ أي: أنَّ مِثلَه لا يُستَعجَلُ، بل شأنُه أن يُستَأخَرَ[1].

نُكتةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾:

الحامِلُ للكُفّارِ على الاستِعجالِ بالعَذابِ، هو الاستِهزاءُ والتَّهكُّمُ

الفعلُ المُضارعُ في أصلِ استعمالِه دالٌّ على التَّجدُّدِ والاستمرارِ، ولذا جاءَ التَّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ للإيماءِ إلى هذا المعنى، معَ استحضارِ الصّورةِ الماضيةِ؛ دِلالةً على أنَّ استعجالَهُم بهذا العذابِ مُتجدِّدٌ مِنهم لا يَنقطِعُ، ودافعُهُم في ذلك هوَ الاستِهزاءُ والتَّهَكُّم.

دلالةُ حرفِ الجرِّ (مِنْ):

كُلُّ العذابِ مُهلِكٌ، ولا يَصلُحُ شيءٌ منه لاستعجالِهِ

حرفُ الجرِّ (مِنْ) في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ دالٌّ على التَّبعيضِ؛ "أي: لا شيءَ مِنَ العذابِ بصالحٍ لاستِعجالِهِم إيّاهُ؛ لأنَّ كلَّ شيءٍ منه مُهلِكٌ حائِلٌ بَينَهُم وبينَ التَّمَكُّنِ مِنَ الإيمانِ وقتَ حُلولِهِ"[2].والجملةُ يجوزُ أن تكونَ على معنى "التَّعجيبِ؛ وهو مُستفادٌ مِنَ المقامِ، كأنَّه قِيلَ: أيُّ هولٍ شديدٍ يَستعجلونَ منهُ، فَتكون (مِن) بَيانيَّةً وتَجريديَّةً"[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/192.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/192.
(3) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/133.

غَرضُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿مِنْهُ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمَجرورُ ﴿مِنْهُ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾؛ للاهتمامِ بالمُقدَّمِ، ولإفادةِ القصرِ؛ كأنَّهم لفَرطِ تهكُّمِهم واستهزائِهم واستِهتارِهم لا يَستعجلونَ إلّا بالعذابِ.

فَـرطُ تَـهَـكُّـمِ المُـشـرِكـينَ صَـيَّرَهُـم يَستَعجِلونَ ما فيه حَتفُهُم

دلالةُ (ال) في: ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾:

اللّامُ في ﴿ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يُرادُ بها العهد العِلميُّ، والمرادُ بِهِم: أصحابُ جُرمِ الشِّركِ والتَّكذيبِ، وهُم القائِلونَ: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾، وهُم مُشركو مَكَّةَ، ومَن كانَ على شاكِلَتِهِم مِنَ المُنكِرينَ الجاحِدينَ لرسالتِه ﷺ.

أعظمُ الجرائِمِ جَريمَةُ الشِّركِ والكُفرِ باللهِ تعالى

نُكتةُ الإظهارِ في مَوضِعِ الإضمارِ:

في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿مَّاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾، وضعٌ لِلمُظهرِ مَوضِعَ المُضمَرِ؛ لأنَّ مُقتضَى الظّاهرِ أنْ يَرِدَ النَّظمُ القرآنيُّ: (ماذا يَستَعجِلونَ منهُ)، ولكِنْ أُظهِرَ إبرازًا لهُم؛ "لِتأكيدِ الإنكارِ ببيانِ مُبايَنةِ حالِهم للاستعجالِ؛ فإنَّ حقَّ المُجرِمِ أن يَهلكَ فَزعًا مِن إتيانِ العذابِ فضلًا عن استِعجالِهِ"[1].

حـقُّ المُـجـرِمِ أن يَـهلكَ فَـزَعًـا مِن حُلولِ العذابِ، فـضـلًا عـن أن يَستَعجِلَهُ

قال ابنُ عاشورٍ: "فَوَقَعَ الإظهارُ في مَقامِ الإضمارِ عِوَضَ أن يُقال: (ماذا يَستَعجلونَ منهُ)؛ لِقصدِ التَّسجيلِ عليهِم بالإجرامِ، ولِلتَّنبيهِ على خَطَئِهِم في استعجالِ الوعيدِ؛ لأنَّه يأتي عليهِم بالإهلاكِ فَيَصيرونَ إلى الآخرةِ، حيثُ يُفضونَ إلى العذابِ الخالِدِ، فَشأنُهُم أن يَستَأخِروا الوَعدَ لا أن يَستعجلوهُ، فدَلَّ ذلكَ على أنَّ المعنى لا يَستَعجِلونَ منه إلّا شرًّا"[2].

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/153.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/193.

عِلَّةُ الفَصلِ في: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾:

نُـزولُ العـذابِ المُستَأصِلِ لأهلِ الشِّركِ مانِعٌ مِن صِحَّةِ إيمانِهِم

فُصِلَ قولُ اللهِ ﷻ: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ عمّا قَبلَهُ، لكونِه واقِعًا ممّا قبلَه مَوقِعَ البيانِ؛ فالجملةُ مُفَسِّرةٌ لِسابِقَتِها لِقَصدِ الرَّدِّ على استعجالِهِم، وقد جاءَت إنكارًا لإيمانِهِم بنزولِ العذابِ بعدَ وقوعِه حقيقَةً، مَعَ ما سَبَقَ مِن إنكارِ استعجالِهِم به بعدَ إتيانِه حُكمًا؛ والمعنى: أَبَعدَ ما وقَعَ العذابُ، وحلَّ بكُم حقيقةً؛ آمنتُم به حينَ لا ينفَعُ الإيمانُ؟ وهذا الإنكارُ واردٌ لأجلِ أن يُقلِعوا عمّا هُم فيه مِنَ العِنادِ، ويَنصرِفوا إلى تَدارُكِ أمرِهِم قبلَ فواتِ الأوانِ.

بلاغةُ توسُّطِ الجملةِ المحذوفةِ بينَ حرفِ العطفِ وبينَ الهمزَةِ:

بيانُ غَلَطِ أهلِ الشِّركِ، وإظهارُ فسادِ رأيِهِم

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ مُرادٌ به زيادةُ التَّنديمِ والتَّجهيلِ؛ والمعنى: "أخبروني إنْ أتاكُم عذابُه آمنتُم به بَعدَ وقوعِه حينَ لا يَنفعُكُمُ الإيمانُ، وأصلُ الكلامِ على ما قِيلَ: إنْ أتاكُم عذابُه بياتًا أو نهارًا ووَقَعَ وَتَحقَّقَ آمَنتُم، ثُمَّ جِيءَ بحرفِ التَّراخي بَدَلَ الواوِ؛ دلالةً على الاستبعادِ، ثُمَّ زيدت أداةُ الشَّرطِ دلالةً على استقلالَه بالاستبعادِ"[1].

وقال ابنُ عاشورٍ: "والمُستَفهَمُ عنه هو حصولُ الإيمانِ في وقتِ وُقوعِ العذابِ، وهذا الاستِفهامُ مُستَعمَلٌ في الإنكارِ بمعنى التَّغليطِ وإفسادِ رأيِهِم، فإنَّهُم وعَدوا بالإيمانِ عندَ نُزولِ العذابِ؛ استِهزاءً مِنهم، فَوَقَعَ الجوابُ بمُجاراةِ ظاهِرِ حالِهِم وبيانِ أخطائِهِم؛ أي: أتؤمنونَ بالوعدِ عندَ وُقوعِه على طريقةِ الأسلوبِ الحكيمِ"[2].

دلالةُ حرفِ العطفِ (ثُمَّ):

إيـمـانُ المشركينَ بـالـعـذابِ حينَ نُزولِه بعدَ إنكارِه أغرَبُ وأعجَبُ مِن استِعجالِهِم بِهِ

جِيءَ بحرفِ العطفِ (ثُمَّ) مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ المُفيدِ التَّراخيَ؛ دلالةً على الاستبعادِ، والمرادُ: استبعادُ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/134.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/194.

وُقوعِ هذا العذابِ؛ و"لأنَّ إيمانَهُم بالعذابِ الَّذي كانوا يُنكِرونَ وُقوعَه حينَ وُقوعِه بِهِم أغرَبُ وأهَمُّ مِن استِعجالِهِم بِهِ"[1].

دلالةُ ﴿إِذَا﴾:

﴿إِذَا﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ شرطيَّةٌ، وهي "دالَّةٌ على استقلالِه بالاستِبعادِ، وعلى أنَّ الأوَّلَ كالتَّمهيدِ لَهُ، وجِيءَ بِـ (إذا) مُؤكَّدَةً بِـ ﴿مَا﴾ تَرشيحًا لمَعنَى الوقوعِ وزيادَةً للتَّجهيلِ، وأنَّهُم لَم يؤمِنوا إلّا بعدَ أن لَم يَنفعْهُمُ الإيمانُ البتَّةَ"[2].

إيمانُ المُشركينَ عِندَ نُزولِ العَذابِ إيمانٌ اضطِراريٌّ لا يُقبَلُ

فائدةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الشَّرطيَّةِ:

الجملةُ الشَّرطيَّة في قولِ اللّه ﷻ: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾، "اعتراضٌ مُقرِّرٌ لِمضمونِ الاستخبارِ، وقيلَ: الجوابُ قَولُه تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ﴾ إلى آخرِ الآيةِ، والاستفهاميَّةُ الأولَى اعتراضٌ، والمعنى: أَخبِروني إنْ أتاكُم عَذابُه آمَنتُم به بعدَ وقوعِهِ، حينَ لا يَنفَعُكُمُ الإيمانُ"[3].

تقريرُ مضمونِ الاستِخبارِ في نفسِ السّامِعِ

نُكتةُ عدمِ التَّصريحِ بفاعلِ ﴿وَقَعَ﴾:

لَم يُصرَّحْ بفاعلِ الفعلِ ﴿وَقَعَ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾، بَل أُضمِرَ - وهو مُسنَدٌ إليه - ، والمرادُ: العذابُ الموعودُ؛ وذلك لِعدمِ الفائدةِ مِنَ التَّصريحِ بِهِ؛ لكونِه مَعلومًا، وهو واقِعٌ في جوابِ الاستفهامِ، فتركُ التَّصريحِ به في هذا المقامِ هو من بابِ الاحترازِ عن العبَثِ في الكلامِ؛ وهوَ ممّا نُزِّهَ القرآنُ الكريمُ عنه.

الاحترازُ عن العبثِ في الكلامِ مِن مَعالِمِ البلاغةِ

مَوقِعُ جملةِ ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾:

جملةُ ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ لا محلَّ لها مِنَ الإعرابِ؛ لِوقوعِها جوابَ شَرطٍ غيرِ جازِمٍ[4]، والظَّرفُ مُتعلِّقٌ بـ﴿ءَامَنتُم﴾، وفي الكلامِ حذفٌ تقديرُهُ: أتُؤَخِّرونَ إلى أن تُؤمِنوا بِها، وإذا وَقَعَ العذابُ وعايَنتُموه فما

التَّصديقُ حالَ مُعاينةِ عذابِ الإهلاكِ غيرُ نافِعٍ آنئذٍ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/194.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/153.
(3) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/153.
(4) صافي، الجدول: 11/143.

فائِدَةُ الإيمانِ؟ وما نَفعُكُم فيه إذا كانَ لا يَنفَعُ حينذاكَ. قال ابنُ جريرٍ الطّبريّ: "أهُنالِكَ إذا وَقَعَ عذابُ اللهِ بِكُم - أيُّها المشركونَ - ﴿ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ يقولُ: صدّقتُم به في حالٍ لا يَنفَعُكُم فيها التَّصديقُ"(1).

بلاغةُ التَّعبيرِ بأسلوبِ الحكيمِ:

بيانُ تغليطِ المُشركينَ وإفسادِ رأيِهِم

الأسلوبُ الحكيمُ هو: تلقّي المُخاطَبِ بغيرِ ما يترقَّبُهُ، ولما كانَ المُستَفهَمُ عنه في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾ "هوَ حُصولَ الإيمانِ في وقتِ وقوعِ العذابِ، وهذا الاستفهامُ مُستعمَلٌ في الإنكارِ بمعنى التَّغليطِ وإفسادِ رأيِهِم، فإنَّهُم وعَدوا بالإيمانِ عندَ نُزولِ العذابِ؛ استهزاءً مِنهُم، فَوَقَعَ الجوابُ بمُجاراةِ ظاهِرِ حالِهِم وبيانِ أخطائِهِم؛ أي: أتُؤمِنونَ بالوعدِ عندَ وُقوعِه على طريقةِ الأسلوبِ الحكيمِ"(2).

وجاءَ هذا ردًّا عليهم مِن قَبيلِ مُجاراةِ الخَصمِ لِما يَبدو مِن ظاهِرِ حالِهِ، فَهُم قد استَعجَلوا نُزولَ هذا العذابِ، فأجابَهُم بغَيرِ ما يَتَوَقَّعونَ: أئِذا نزَلَ آمنتُم بِهِ، والإيمانُ لَم يردْ بخاطِرِهِم على الإطلاقِ.

دلالةُ الباءِ في: ﴿بِهِۦٓ﴾:

اختصاصُ العذابِ بمَنْ قدَّرَ اللهُ تعالى نُزولَه بِهِم

قولُ اللهِ تعالى: ﴿أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنتُم بِهِۦٓ﴾، الباءُ لا ينفكُّ عنها معنى الإلصاقِ، والتَّعبيرُ بها في هذه الآيةِ يفيدُ أنَّهُم آمنوا بهذا العذابِ الَّذي نَزَلَ بِهِم، وصارَ مُلاصِقًا لَهُم، والضَّميرُ يَعودُ على وقوعِ العذابِ الموعودِ، واختصاصِه بِهِم لا بغيرِهِم.

غَرَضُ الاستفهامِ ونوعُه:

إيغالُ المُشركينَ في التَّكذيبِ والاستهزاءِ

الاستفهامُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ءَآلْـَٰٔنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ "استفهامٌ إنكاريٌّ عَن حُصولِ إيمانِهِم عندَ حلولِ ما تَوَعَّدَهُم، فَعَبَّرَ عن وقتِ وقوعِه باسمِ الزَّمانِ الحاضِرِ وهو ﴿ءَآلْـَٰٔنَ﴾؛ حكايةً للسانِ حالِ مُنكِرٍ عليهِم في ذلكَ الوقتِ استحضَرَ حالَ حُلولِ الوَعدِ،

(1) ابن جرير، جامع البيان: 11/122.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/194.

كأنَّه حاضِرٌ في زمنِ التَّكلُّم، وهذا الاستحضارُ مِن تَخييلِ الحالةِ المُستَقبَلَةِ واقِعَةً"[1].

ويرى أبو السُّعود أنَّ قولَه تعالى: ﴿ءَآلْـَٔـنَ﴾ استئنافٌ مِن جهتِه تعالى غيرُ داخِلٍ تحتَ القَولِ المُلَقَّنِ، مَسوقٌ لِتقريرِ مَضمونِ ما سَبَقَ على إرادةِ القولِ؛ أي: قِيلَ لَهُم عندَ إيمانِهم بعدَ وقوعِ العذابِ: آلآنَ آمَنتُم بِهِ؟ إنكارًا لِلتَّأخيرِ وتَوبيخًا عليه؛ ببيانِ أنَّه لَم يَكُن ذلكَ لِعَدَمِ سَبقِ الإنذارِ بِهِ، ولا للتَّأمُّلِ والتَّدبُّرِ في شأنِهِ، ولا لِشَيءٍ آخرَ - ممَّا عسى أنْ يُعَدَّ عُذرًا في التَّأخيرِ - بل كان ذلكَ على طريقِ التَّكذيبِ والاستعجالِ به على وجه الاستهزاءِ[2].

بلاغةُ الاستعارةِ المكنيّةِ:

إبرازُ المعاني في صورِ الأشياءِ المُشَخَّصةِ، يُقَوّي ثُبوتَها في ذهنِ المُتَلَقّينَ

الاستعارةُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ءَآلْـَٔـنَ وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ مكنيَّةٌ، حيثُ شُبِّه فيها الزَّمنُ المستقبَلُ بزمنِ الحالِ استحضارًا لَهُ، ورُمِزَ إليه بذكرِ لازِمِهِ، وهو اسمُ الزَّمنِ الحاضِرِ ﴿ءَآلْـَٔـنَ﴾، وإثباتُه له تخييلٌ، وهو قرينةُ الاستعارةِ المكنيَّةِ الَّتي عَمِلَت على تشخيصِ الزَّمانِ المُستَقبَلِ وحُضورِه ووُقوعِه حالًا.

دلالةُ الواوِ على الحالِ: ﴿وَقَدْ﴾:

استعجالُ الكُفّارِ العذابَ كان على وجه التَّكذيبِ والإنكارِ مِنهُم

الواوُ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ واوُ الحالِ، والجملةُ بعدَها حاليَّةٌ، قال الزَّمخشريُّ: "يعني: وقد كُنتُم به تُكَذِّبونَ؛ لأنَّ استعجالَهُم كان على جهةِ التَّكذيبِ والإنكارِ"[3].

قال السَّمينُ الحلبيُّ: "قلتُ: فَجَعَلَه مِن بابِ الكنايةِ؛ لأنَّه دِلالةٌ على الشَّيءِ بلازِمِه نحو: هو طويلُ النِّجادِ؛ كَنيتَ به عن طولِ قامتِه؛ لأنَّ طولَ نِجادِه لازمٌ لِطولِ قامتِه، وهو بابٌ بليغٌ"[4].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/194.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/153.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/241.
(4) السّمين الحلبيّ، الدّرّ المصون: 6/218.

فقولُه تعالى: ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾؛ أي: تكذيبًا واستهزاءً، وهي جملةٌ وقعَتْ حالًا مِن فاعِلِ ﴿ءَامَنتُم﴾ المقَدَّرِ؛ لِتشديدِ التَّوبيخِ والتّقريعِ وزيادةِ التَّنديمِ والتَّحسيرِ[1].

دلالةُ (قد) على التّحقيقِ في السّياقِ الدّقيقِ:

جاءَ الحرفُ (قَد) في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ لبيانِ تحقيقِ استعجالِهم، والحديثِ عَن سُرعَةِ طَلَبِهم وُقوعِ هذا العذابِ، وإذا دَخَلت (قد) على الأفعالِ؛ دلَّ ذلكَ على قوَّتِها، وزيادةِ تأكيدِ هذه الأفعالِ، وما نيطَ بها مِن مُتَعَلّقاتٍ ارتبطَت بِها.

استِعجالُ المُشرِكينَ العذابَ، وسُرعَةُ طَلَبِهم وُقوعَهُ، دلالةٌ على عدمِ تقديرِ العواقبِ

نُكتةُ تقديمِ الجارِّ والمجرورِ ﴿بِهِۦ﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾، ولم يَرِدِ النَّظمُ القرآنيُّ: (وقد كنتُم تستَعجِلونَ بِهِ)؛ وذلكَ لإرادَةِ الاهتمامِ بالوعدِ الَّذي كذَّبوا بِهِ.

بيانُ الاهتمامِ بالوعدِ الّذي كُذِّبَ بِهِ المُعانِدونَ

فائدةُ التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾:

في التَّعبيرِ بالفعلِ المضارعِ ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾ في قولِ اللّه ﷻ: ﴿وَقَدْ كُنتُم بِهِۦ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ استحضارُ الصّورةِ الماضيةِ - صورةِ استعجالِهمُ العذابَ - وتَجدُّدُ هذا الاستعجالِ مِنهُم، والمُرادُ مِن ﴿تَسْتَعْجِلُونَ﴾: تُكذِّبونَ لا تَستعجلونَ، إلّا أنَّه وُضِعَ مَوضِعَهُ؛ لأنَّ المرادَ بِهِ الاستعجالُ السّابقُ، وهوَ ما حَكاه سبحانَه عَنهُم بقولِه تعالى: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾، وكانَ ذلكَ تَهَكُّمًا منهم وتَكذيبًا واستِبعادًا، وفي العُدولِ استحضارٌ لِتلكَ المَقالةِ الشَّنيعَةِ، فَيَكونُ أبلَغَ مِن تُكذِّبونَ[2].

استحضارُ مَقالةِ المُشرِكينَ الشّنيعةِ، تدُلُّ على أنّ الزّيغَ فيهم طبيعةٌ

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الإتيانُ والمَجيءُ:

الإتيانُ: مَجيءٌ بسهولةٍ، ومنه قِيلَ لِلسَّيل المارِّ على وجهِهِ: أَتِيٌّ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/153.

(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 11/153.

وأَتاوِيٌّ، والإتيانُ يُقالُ لِلمجيءِ بالذّاتِ وبالأمرِ وبالتَّدبيرِ، ويُقالُ في الخيرِ وفي الشَّرِّ، وفي الأعيانِ والأعراضِ، نحو قولِه تعالى: ﴿إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ ٱلسَّاعَةُ﴾ [الأنعام: 40][1]. أمّا المجيءُ وإنْ كان كالإتيانِ إلّا أنَّه أعمُّ منهُ، وهو "يُقالُ اعتبارًا بالحصولِ، ولِمَن قَصَدَ مكانًا أو عملًا أو زمانًا"[2]. وقال أبو هلال العسكريُّ: "الفرقُ بينَ قولِكَ: جاءَ فُلانٌ وأَتَى فُلانٌ؛ أنَّ قولَكَ: جاءَ فُلانٌ، كلامٌ تام لا يحتاجُ إلى صِلَةٍ، وقولكَ: أتى فُلانٌ، يقتضي مَجيئه بشيءٍ، ولِهذا يُقالُ جاءَ فلانٌ نَفسُه، ولا يُقالُ أَتَى فُلانٌ نفسه، ثُمَّ كَثُر ذلكَ حتَّى استُعمِلَ أحدُ اللَّفظَينِ في مَوضِعِ الآخرِ"[3].

المجيءُ يُقالُ لِمَن قَصَدَ مكانًا أو عملًا أو زمانًا، وهو أعمُّ مِنَ الإتيانِ

(1) الرّاغب، المفردات: (أتى).
(2) الرّاغب، المفردات: (جاء).
(3) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 330.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 19 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-16-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 19 : المجلد التاسع عشر، سورة يونس من الآية 15 إلى الآية 75.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-16-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6365726 بتاريخ 2024/02/07م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»